«أبها» البهية .. اللي تخلي الكهلة صبية

شاءت الصدف أن أزور أبها مرتين في شهر واحد، في المرة الأولى كنت على رأس وفد يمثل قطاع الثقافة والتراث الوطني بوزارة الإعلام لحضور افتتاح المعرض التشكيلي لفناني وفنانات مملكة البحرين، وفي الثانية لاستلام جائزة المفتاحة التشكيلية لأفضل معرض تشكيلي، ويعود الفضل في ترتيب هاتين الزيارتين إلى الصديق الفنان التشكيلي النشيط عبد الله شاهر، مدير مركز الملك فهد الثقافي بأبها، والذي ساهم في تمثيل المملكة العربية السعودية في الكثير من المشاركات الدولية والمحلية بمعارضه الشخصية المتميزة.

ومع مرور أربعة أعوام من هاتين الزيارتين إلا أنني لا أزال أحمل ذكريات جميلة عن أبها عروس الجنوب، التي استفادت من معطياتها الجمالية والتراثية والتاريخية، فاختارت السياحة الثقافية الداخلية خياراً تنموياً استراتيجياً من منظور اقتصادي ذي جدوى على المدى البعيد، ونجحت فيه باقتدار، بفضل الحرص والاهتمام الشخصي والرعاية من قبل صاحب السمو الملكي الأمير الشاعر والمبدع خالد الفيصل.

فهذه المدينة البهية تأسرك منذ اللحظة الأولى بمناظرها الطبيعية الخلابة وقمم سلسلة جبال (السروات) الشاهقة، التي تزينها أشجار الزيتون والشت والطلح وأشجار العرعر الكثيفة التي تبلغ أعمارها أكثر من 150 عاماً، والآثار من مساجد تاريخية، ونقوش ورسوم محفورة على الصخور وجدران الكهوف، وقلاع وحصون ومتاحف، إضافة إلى الأسواق الشعبية، يقابل كل ذلك مناخ معتدل، فدرجة الحرارة في فصل الصيف أقل ارتفاعاً من المناطق الأخرى، وقد لا تتعدى 25 درجة مئوية.

هذه المدينة مفعمة بمناشط فصل الصيف الترفيهية المختلفة والمتنوعة، والفعاليات السياحية، التي تلبي حاجات المصطافين من داخل وخارج المملكة، فمن مهرجان أبها للتسوق، ومهرجان عسير البحري على شواطئ (الحريضة)، إلى العروض الموسيقية، إلى روعة منتزه (السوده) الذي يقع على ارتفاع 2500م فوق سطح البحر غرب أبها، إلى العربات المعلقة (التلفريك) التي تنقل الزوار بين الوديان الجبلية وقمم الجبال الخضراء.

ما شدني في أبها، من منطلق اهتماماتي الشخصية، زيارة قرية المفتاحة التشكيلية بمركز الملك فهد الثقافي، الذي يقع في وسط مدينة أبها، هذا الشعور يشاركني فيه الأخوة الفنانين التشكيليين عبد الكريم البوسطة، وعدنان الأحمد، ومحمد صالح المقهوي، ومحمد مهدي، الذين كانوا ضمن الوفد البحريني المشارك.

فهذه القرية التشكيلية تعد معلماً حضارياً وسياحياً بارزاً، بمطاعمها ومقاهيها وسوقها وبيوتها القديمة والحدائق المحيطة بها، من حق أبها أن تتباهي بها، لما تمثله من طراز معماري يمزج الماضي والحاضر، وقد تكون أول قرية ثقافية تشكيلية بالعالم العربي، تحتضن وترعى الفنون التشكيلية والصناعات والحرف والمهن اليدوية المحلية، وتستضيف الفنانين من جميع أنحاء المملكة والعالم العربي، وتهيئ لهم الأجواء التي تساعدهم على الإبداع، فهي توفر لهم المراسم والورش الفنية، ويشمل كل مرسم على ستديو للرسوم في الدور الأرضي مجهز بكل وسائل الراحة، وغرفة مع مرافقها. إضافة إلى أن مسرح قرية المفتاحة، الذي يعتبر من أكبر المسارح في المنطقة العربية حيث يحتوي على 3800 مقعد، تقدم أنشطة مختلفة للعروض الشعبية والندوات ومعارض الكتب، وتستضيف رجال الفكر والثقافة والأدب من الفنانين والشعراء والأدباء.

من المشاهد التي تستحق أن تروى عن أبها، العروض المبهرة للصوت والضوء والألعاب النارية على ضفاف بحيرة (السد)، والتي يقوم بتنفيذها فريق عمل عالمي متخصص، فعلى مدى 35 دقيقة تنطلق تشكيلات بالليزر تصاحبها أنغام موسيقية تمثل الموسيقى العربية الأصيلة والموسيقى المعاصرة على الشاشات المائية في تشكيلة من ألوان الطيف، ثم تنطلق الألعاب النارية بمصاحبة المؤثرات الصوتية لتنير سماء أبها وتزيدها رونقاً وبهاء.

الأسئلة.. إنها قوتك الوحيدة

عبدالقادر عقيل
aqaqeel@batelco.com.bh

«مختصون» .. أغلب هذه الأفلام يشوبها الت

الأفلام القصيرة في البحرين.. إشكاليا

■ من فيلم «غياب»

رؤى- مهدي سلمان:

في البحرين.. وجد الفيلم القصير لنفسه مكاناً بين الفنون الممارسة باعتباره في البداية شكلاً حديثاً من الفنون هنا، يتواءم مع تطلعات الشباب الذين يرغبون دائماً في التغيير والتجديد، وكان للهالة الواضحة على هذا الفن باعتباره «سينما» دوراً مهماً في تقريب هذا الفن إلى نفوس هؤلاء الشباب، فمارس كثير من الشباب صناعة الفيلم القصير، ولكن دون وعي حقيقي لماهية هذا النوع من الفنون.

وبما أننا هنا في الغالب نمارس كثير من الفنون والاتجاهات دون أن نكلف أنفسنا عناء البحث في ماهيتها وتاريخها والأفكار التي تطرحها هذه الفنون، وبهذا السبب بالذات يحدث كثير من التخبط، ويحدث كثير اللبس، ونحن هنا في هذا التحقيق نريد أن نسلط الضوء على الفيلم القصير في البحرين، ونريد أن نطرح بعض الإشكالات التي وجدنا أنها مطروحة بشكل قويّ لدى تلقّي هذه الأفلام هنا، بالتأكيد استثنينا إشكالات أخرى تعالج موضوعات هي خارج المبدع نفسه، لأننا أردنا في هذا التحقيق أن نركز على ما يخصّ المبدع الذي يقوم بإنتاج هذه الأفلام.

بين الشكل والمضمون .. وفيلم يحاول أن يبتكر

بالرغم مع أن الساحة الثقافية في البحرين قد احتضنت منذ فترة – وإن بشكل جزئي – أفلام الفيديو القصيرة كمعوّض عن غياب السينما أولاً، ثم بعد ذلك كرافد للسينما في حال وجدت، إلا أن المتابع لأفلام الفيديو القصيرة في البحرين، ومقارنتها بتلك التي تنفذ في دول أخرى من المنطقة، يكشف عن خلل ما في عملية إنتاج هذه الأفلام، إذ نجد أن ثمة فرق كبير بين الاهتمام بالشكل – أو بالأحرى بالتقنية – وبين الاهتمام بالمضمون، إذ عادة ما يبحث مخرجو أفلام الفيديو عن مكان التنفيذ وعن الكاميرات المستخدمة، وعن التقنيات التي ستنفذ في الفيلم، وعن تقنيات المونتاج والمكساج وغيرها، قبل أن يسألوا عن السيناريو، وعما تتناوله هذه الأفلام التي يريدون تنفيذها فعلاً.

ومن هنا طرحنا سؤالنا الأول إذ هل هذا الخلل فعلاً قائم، أم أنه توّهم لدى البعض، ثم ما هو سبب هذا الخلل، وهذا الاهتمام بالشكل والتقنية على حساب المضمون؟

منذ البداية حدّد أمين صالح لدى السؤال عن «أفلام الفيديو» افتراضاً خاطئاً في السؤال فقال «في السؤال أجد افتراضاً (خاطئاً) بأن أفلام الفيديو –أي الأفلام المصورة بكاميرا الفيديو– هي نوع مختلف عن السينما، بل نوع أدنى منزلة بما أنه يعمل كـ(معوّض) و(رافد)».

ويؤكد صالح على أنه «ينبغي تصحيح هذه النظرة، فالأفلام السينمائية لا يتم تصويرها من خلال كاميرات 35 ملي و16 ملي (السينمائية) فحسب، بل – وهذا يحدث منذ أكثر من ثلاثين سنة – من خلال كاميرات فيديو، رقمية (ديجيتال) وغيرها، وبمختلف أنواعها. مخرجون كبار في السينما العالمية (أنتونيوني.. كمثال) جرّبوا تصوير أفلامهم بكاميرا فيديو وعرضوها على الشاشات السينمائية للجمهور العام، وكانت النتائج مبهرة».

ويخلص إلى أن تسمية «أفلام فيديو»، في هذه الحالة، ليست دقيقة. هي بالأحرى أفلام سينمائية وينبغي التعامل معها على هذا الأساس.

بعد ذلك يشير صالح إلى وجود عدد من الإلتباسات أو سوء الفهم فيما يخص شوائب أو نواقص هذه الأفلام، كما هي واردة في السؤال فيقول «الأفلام المصورة بالفيديو ليست رافداً للسينما، بل هي السينما في أحد أشكالها أو تجلياتها التقنية. كما لا أعتقد – من خلال مشاهداتي للأفلام القصيرة – أن هناك اهتماماً بالشكل على حساب المضمون. هناك اهتمام بالشكل. نعم. هذا ما ينبغي أن يكون. لا بد للمخرج أن يهتم بالكاميرا والمونتاج وغيرها لأنها الأدوات والعناصر التي بها يحقق فيلمه، فإذا لم يهتم بها، بصقلها، بتوظيفها على نحو صحيح فسوف ينتج عملاً سيئاً ولن ينفعه المضمون (الجيد) في هذه الحالة».

ويضيف «من جهة أخرى، كل فيلم قائم على سيناريو ما – أي نص ما، أي مضمون ما – مع اختلافٍ وتفاوت وتباين بين مضمون وآخر.. في القيمة والمعالجة والطرح. قد يكون الموضوع واقعياً وقد يكون تجريديا، بالتالي لا نستطيع أن نجزم بأن المخرج لم يهتم بالمضمون. نستطيع أن نتحدث عن مدى عمق أو سطحية رؤيته، لكن ليس عن حضور أو غياب مضمونه».

ثم يجمل «أعتقد أن هناك تقاعساً، أو عدم اهتمام، بمتابعة ما ينتج من أفلام قصيرة في واقعنا السينمائي، وهذا يفضي – بطبيعة الحال – إلى سوء الفهم وسوء التقييم».

الناقد السينمائي البحريني حسن حداد من جهته أيضاً وجد اختلافاته مع بعض المصطلحات التي يفترضها السؤال فقال «أولاً.. دعني أختلف معك في التسمية.. (أفلام الفيديو).. فما يقدم الآن ليس أفلام فيديو.. فهذه مرحلة وانتهت.. كانت في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي.. وما يقدم الآن هو أفلام رقمية (ديجيتال).. وتندرج تحت تسمية أفلام قصيرة..!!»

ثم يحمل «والفيلم القصير، شأنه شأن الفيلم الطويل، فن خالص لوحده، ولا يمكن أن يكون تمهيداً للعمل في الفيلم الطويل.. والفيلم القصير، وفي كل بقاع العالم، يعتمد التصوير الرقمي، حتى أن مخرجين كبار يستخدمون الآن الكاميرا الرقمية المتطورة في تصوير أفلامهم الطويلة..!!».

ثم بعد ذلك يذهب حداد إلى إشكالية تعويض الفيلم القصير عن غياب السينما كمصطلح فيجيب بالنفي مؤكداً على أن «التراكم الكمي والنوعي، قادر حتماً على تأسيس لوجود سينما بحرينية في المستقبل»، ويضيف «أما بالنسبة للمقارنة بما يقدم هنا في البحرين من أفلام، وما يقدم في دول المنطقة.. فهذه المقارنة لابد من التأكيد عليها.. باعتبار أن المتاح من الإمكانيات الفنية والتقنية والإنتاجية، تختلف من بلد إلى آخر.. وإن النجاحات التي حضي بها الفيلم القصير في دولة الإمارات، لهو دليل على إمكانية النجاح، لو توفرت لدى السينمائي البحريني فرص إنتاجية أفضل».

ثم يؤكد «ويمكنني الجزم، كمتابع لما ينتجه صناع الصورة المتحركة في البحرين، بأن عالبية هذه الأفلام يشوبها الكثير من التخبط والتسرع وعدم الوعي، ليس على صعيد المضمون فحسب، بل حتى على الصعيد الفني والتقني. ويأتي ذلك نتيجة الجهل بطبيعة السينما وماهيتها، لمن يشتغل على الصورة المتحركة في البحرين. فغالبية تلك التجارب الفيلمية، تفتقر للعمق الفكري والفني، ولا تهتم بتوصيل مضمون عميق ومركز.. وهذا بالتالي ناتج أساساً من ذلك الفقر الثقافي والسينمائي الذي يعيشه فنانينا. فنادراً ما نجد أحداً يتابع ويشاهد ويناقش ويستفيد من التجارب العربية والعالمية في مجال السينما، وكأن الأمر لا يعنيه، وأن الإستفادة هذه ستعيق حركته وعمله..!!

فلكي أصنع فيلم، لا بد لي ـ على أقل تقدير ـ أن أهتم كثيراً بمشاهدة الأفلام ومتابعة الجديد منها.. فهي المصدر الأهم لتعلم السينما.. ثم بعد ذلك يأتي دور التثقيف الذاتي.. القراءة عن كل شي يخص السينما، عن المخرجين، عن الأساليب والتيارات، عن تراث السينما بشكل عام».

ويؤكد حداد على نقطة مهمة من جانب الموضوع فيقول «فيما يخص تناول المواضيع في الأفلام البحرينية، فهو أمر في غاية الخطورة.. فمن خلال متابعاتي المتواضعة لأغلب التجارب الفيلمية، لاحظت ذلك الخلط بين السينما والدراما التلفزيونية.. وقد جاء ذلك نتيجة لذلك التأثير الطاغي للتلفزيون على المتفرج عندنا، وبالتالي على صناع هذه الأفلام، مما جعلهم يتجهون للهم الدرامي التقليدي، غير منتبهين في أن الفيلم القصير له خاصية هامة وهي اختزال فكرة معينة في زمن قياسي لا تتجاوز مدته النصف ساعة».

ويضيف «حتى إذا قبلنا بما قدمته هذه الأفلام القصيرة من دراما.. فإننا لاحظنا بأن أغلبها قدمت الدراما كما عهدناها في التليفزيون.. وهذا مسألة أوقعت الكثيرين من صناع الصورة عندنا في السطحية وعدم التركيز.. باعتبار أن الدراما التليفزيونية تعتمد على ملء ساعات الإرسال التليفزيوني بالغث أو بالسمين.. والفيلم لابد له من التركيز في اختزال فكرته والهروب بها من التطويل والمط.. وهو الشيء الذي لم تجسده أغلب التجارب التي شاهدناها».

المخرج محمد جناحي هو الآخر وجد إشكالياته في هذا الجانب حيث بدأ بالقول «يمكنني أن أختلف معك في هذا الجانب، فأنا لا أرى أن التقنية أو حتى الشكل حاضرين عبر رؤية واضحة في الأفلام القصيرة في البحرين».

ويضيف «يمكن أن أقول بأن المخرجين الشباب تنقصهم الخبرة والتجارب، ويمكن اعتبارهم بأنهم مواهب لم تصقل بعد، ويؤخذ عليهم الاستعجال في تنفيذ أفلامهم،

> كل فيلم قائم على سيناريو ما – أي نص ما، أي مضمون ما – مع اختلافٍ وتفاوت وتباين بين مضمونٍ وآخر.. في القيمة والمعالجة والطرح. قد يكون الموضوع واقعياً وقد يكون تجريديا، بالتالي لا نستطيع أن نجزم بأن المخرج لم يهتم بالمضمون. نستطيع أن نتحدث عن مدى عمق أو سطحية رؤيته، لكن ليس عن حضور أو غياب مضمونه

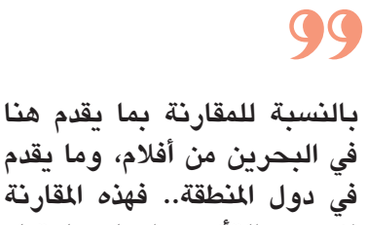

> بالنسبة للمقارنة بما يقدم هنا في البحرين من أفلام، وما يقدم في دول المنطقة.. فهذه المقارنة لابد من التأكيد عليها.. باعتبار أن المتاح من الإمكانيات الفنية والتقنية والإنتاجية، تختلف من بلد إلى آخر.. وإن النجاحات التي حضي بها الفيلم القصير في دولة الإمارات، لهو دليل على إمكانية النجاح، لو توفرت لدى السينمائي البحريني فرص إنتاجية أفضل